لا تبالغوا في أهمية الحادي عشر من سبتمبر

اندريان هاميلتون

□ قبل أن يغمرنا جميعاً سيل المقالات عن ذكرى الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول، هل يستطيع المرء التعبير عن القصد الذي أحدثه الهجوم المروع في ذلك اليوم؟

طبعاً مقتل 3000 مدني شيء مخيف. والشعور بالصدمة في دولة لم تهاجم أراضيها طوال قرنين من الزمان كان عميقاً. من الناحية الاعلامية هذا هو الحدث العالمي الاول الذي يبث بواسطة التلفزيون. في الماضي كانت الحروب السابقة والمآسي الانسانية تغطيها الكاميرا الثابتة. هذه هي الصورة المتحركة التي أنتشرت حول العالم المترامي الأطراف منذ ذلك الوقت، وسوف تنتشر بكثافة أكثر مرة أخرى في الأسابيع المقبلة. فتأثير الحوادث على القلوب والعقول في أميركا عميق و لا يمكن وصفه.

ولكن يعتبر الحادث لحظة فاصلة بالنسبة إلى السياسة الخارجية الاميركية ومواقفها نحو العالم. وعلى رغم كل الحديث الدائر عن «الحرب ضد الارهاب»، فإن الهجوم على البرجين لا يختلف جوهرياً عن الحوادث الاخرى كهجوم الجيش الجمهوري الايرلندي بالقنابل على ثاتشر، أو هجمات حركة ايتا ضد المدنيين في اسبانيا.

وعندما هوجم مقر مجلس الوزراء أيام جون ميجور تلاشت الدعوة إلى الثأر الفوري. وفي الحقيقة كان هناك شعور صامت بأنه من الافضل ألاّ يُتحدّث كثيراً عن مدى ما شارف عليه الاعتداء من النجاح.

وبعد عام كامل على حوادث 11 سبتمبر مازلنا لا نعرف بالضبط مدى الحملة التي خطط لها تنظيم القاعدة، حتى انه لم يمكن القبض على المشتبه بهم الرئيسيين. ويتوقع أن تستمر هجمات ما تبقى منه بطريقة دعائية، تطلقها خلايا فردية مع درجة قليلة من التنسيق الكامل. وطريقة حدوث هذه الهجمات ستقابل بالطريقة التقليدية للأمن والاستخبارات وجهود الشرطة. وستنفجر القنابل في أماكن ذات دلالة رمزية تؤذي المدنيين، ولكن الحياة ستستمر كما هو الحال في بريطانيا واسبانيا واليونان.

الارهاب لن ينتهي وسيبقى دائماً. هناك أشخاص ثائرون ضد المدرسة التي طردتهم، ضد المجتمع عموماً، ضد القوة الامبريالية، واذ يتعذر التنبؤ بالارهاب فان المجتمعات تعلمت التأقلم معه.

ما جعل هجمات الحادي عشر من سبتمبر مختلفة هو التعاطف الداعم عالمياً، حيث جعلت هذه الواقعة الحكومات في كل مكان تتحد لتضع حداً لهذا النوع من العنف العالمي ضد المدنيين، والذي أصبح بلغة واشنطن شيئاً آخر.

وطبعاً لست بحاجة إلى ان تستمع كثيراً إلى ما يقوله الرئيس بوش بقدر ما تشاهد أفعاله.

طبعاً هناك فرق كبير بين أميركا بعد حوادث 11 سبتمبر عن اميركا التي رأيناها عندما تم انتخاب بوش، من جانب وعي الدولة بالعالم الخارجي. فواشنطن من دون الحادي عشر من سبتمبر كان سيسيطر عليها الاقتصاد المحلي، وكان سيتعرض بوش إلى القضايا الدولية فقط في خطابه أثناء المناسبات.

جاء جورج بوش ومستشاروه إلى السلطة برؤى واضحة عن انتهاء الحرب الباردة والتقارب مع روسيا، متوازية مع الإنفاق على مشروع «حرب النجوم»، وذلك كان سيمكّن الولايات المتحدة من التحلل من الارتباط الشديد بالعالم، ويسمح لها بالتركيز على مصالحها القومية. فقد كان الانفصال عن أوروبا والانسحاب من الاتفاقات الدولية والمؤسسات كلها على القائمة منذ البداية.

وعلى رغم الأمل في أن تجبر حوادث 11 سبتمبر أميركا على العودة واعادة الارتباط، فان النظام الاصلي يبدو لايزال مسيطراً. فحتى من دون الهجوم على البرجين، كان من المحتمل أن يشن بوش حرباً على العراق وايران، ليس لسبب الارهاب ولكن لسبب امتلاكهما أسلحة دمار شامل تهدّد مصالح اميركا بما في ذلك النفط. ومن الواضح أنه لن يكون هناك غزو لافغانستان. ولكن مصالح الولايات المتحدة في آسيا الوسطى ستزيد بسبب احتياطات النفط في بحر قزوين. وبالتالي يمكن القول ان حوادث البرجين بالتأكيد كثفت التطورات ولكنها لم تغير شيئاً في الوضع.

ولم يأت التغيير الكبير من حوادث سبتمبر وانما من الانتفاضة في فلسطين وانتخاب شارون في «اسرائيل». فالحوادث في الشرق الأوسط تلحق الضرر بالولايات المتحدة. والسياسة الاميركية تجاه العراق وايران في خطر لا مفر منه وذلك بسبب دعمها لاسرائيل.

ولكن أسوأ المخاوف أن يتطور الامر إلى معركة بين الاسلام والغرب، والذي سيفشل التحالف الغربي ويجعل العالم الثالث في صف المسلمين الراديكاليين تماماً كما يريد أسامة بن لادن.

الاعتراض قانونياً على حبس سجناء جوانتانامو

اندرو جومبل وأندرو بونكومب

□ سيقدم أهم اعتراض قانوني على اعتقال أكثر من 500 معتقل في خليج جوانتانامو من قبل مجموعة الحقوق المدنية المكونه من محامين واساتذة ورجال دين، إذ يسود الاعتقاد بأن حكومة الولايات المتحدّة انتهكت الدستور الاميركي.

وستضع المجموعة – التى تتكون من كثير من علماء القانون المشهورين ونائب عام سابق للولايات المتحدة – دعواها أمام هيئة محلفين من القضاة الفدراليين في لوس انجليس، محتجة على أن حكومة الولايات المتحدة ليس لها حق في الاعلان عن أن السجناء لا تنطبق عليهم شروط المحاكم المدنية، وأن عدم الافصاح عن اسمائهم عمل مناف للديمقراطية.

وأشار المحامون في الوثائق التي قدمت للمحكمة الى ان هذه القضية تطرح سؤالاً ذا أهمية قصوى وهو: هل ستنتهك الحكومة الاميركية قوانينها الخاصة في عدم اقامة محكمة مسئولة؟ وباعتقال هؤلاء الافراد بصورة غامضة، من دون جلسة استماع أو أي شكل من الاجراءات الرسمية تكون الحكومة قد انتهكت دستور البلاد والقانون الدولي على حد سواء.

وقد اعتقلت الولايات المتحدة حديثاً 564 متهماً من اعضاء طالبان والقاعدة في قاعدتها البحرية في خليج جوانتانامو، اذ أنشأت مؤسسة شبه دائمة لايجاد مآوٍ للنزلاء. وعلى رغم وابل الانتقادات الدولية، رفضت الولايات المتحدة الاعتراف بأنهم سجناء حرب أو منحهم الحقوق التي تكفلها معاهدة جنيف.

وعلى رغم أن المعتقلين قد حقق معهم بانتظام مسئولون اميركيون، إلا أنه لم يسمح لأي منهم باختيار محام له. ويقول المتحدث باسم فريق المحققين، الكولونيل دنيس فينكس: «قمنا بالتحقيق مع هؤلاء الرجال لنستخلص أكبر قدر من المعلومات التي ربما تكون مفيدة لقواتنا في ميدان المعركة، وليس هناك وقت محدد لذلك».

ورفضت المحكمة الصغرى هذه الدعوى. وعلى الأرض فإن خليج جوانتانامو يقع خارج الولايات المتحدة، وبالتالي لا يخضع لصلاحيات المحكمة، ومقدمو العريضة ليس لهم الحق للقيام بعمل بالنيابة عن السجناء.

واحتج المحامون بأن الحكم يعتبر «دفاعاً كلامياً ومحاولة للتخلص من عمل غير قانوني». وأشارت المذكرة إلى أن خليج جوانتانامو ليس فقط قاعدة عسكرية تديرها الولايات المتحدة، ولكن الرجال الذين تم تحري قراراتهم – وعلى رأسهم الرئيس بوش ووزير الدفاع رامسفيلد – مسئولون لدى محاكم الولايات المتحدة.

ويقول المحامي، استيفن ياجمان، إنه يرغب في أن يعرف السجناء لماذا هم معتقلون وأن تعطى لهم فرصة للتحدث أمام محكمة مدنية اذا اختاروا ذلك. وقد أرسلت أول مجموعة من السجناء جواً إلى خليج جوانتانامو من افغانستان، ونشرت صورهم وهم مكبلون في الاصفاد، إذ أجبروا على أن يجثوا على ركبهم وأعينهم مغطّاة. وأثارت هذه الصور احتجاجاً عالمياً عنيفاً، ومطالبة بأن يعامل الرجال وفقاً لمعاهدات جنيف.

وبدت الولايات المتحدة مترددة بما ستفعل بالسجناء، إذ أقر رامسفيلد أنه يفضل ارجاع السجناء الى بلدانهم ليواجهوا العدالة هناك حسب قوله. ولم يتم ادانة اي منهم على رغم أن إدارة بوش لم تستبعد احتمال محاكمتهم أمام محكمة عسكرية أو الاستمرار في حبسهم حتى ولو ثبتت براءتهم.

نعم للحرب على العراق إذا رأيت دليلاً على أن صدام يمثل تهديداً

ديفيد آرونوفتش

□ ان وضع اسم «بوش» و«تشرشل» بجانب بعضهما بعضاً، مدعاة للسخرية...

يعتبر حديث رامسفيلد أمام ثلاثة آلاف من جنود المارينز في كاليفورنيا تعويذة التحذيرات السياسية البريطانية قبل الحرب مع هتلر. وهي التحذيرات التي لم يعطها أي شخص اهتماماً إلا بعد فوات الأوان. وجملة رامسفيلد الرئيسية هي «ليس من المهم أن يكون هناك اجماع مثلما أن يتخذ القرار الصحيح، والقيام بالعمل الصحيح، حتى لو ظهر في البداية سيئاً».

ومهما عنت كلمات رامسفيلد بالضبط، فإن الصورة التي تخلّفها تكون مشوّشة. ففي كتابه الجديد عن ارث تشرشل، استشهد المؤرخ ديفيد كاندانين، بالمعلق الأميركي ايد مورو عندما قال أن تشرشل «عبأ اللغة الانجليزية ومن ثم أرسلها إلى المعركة».

ولكن يظل التصرف العام للبيت الأبيض فيما يخص العراق قد تطور من كونه مضطرباً ليصبح مأسوياً ويؤتي بنتائج عكسية.

انه أمر قليل الفائدة لكل إنسان – عدا صقور الإدارة الأميركية – أن يظهر الرئيس بوش بأنه قرأ وفهم كتاباً جديداً بعنوان «Supreme Command» من تأليف اليوت اكوهين، يثبت أن من المهم جداً أن تترك الحرب للجنرالات، واستخدم كوهين أربعة زعماء لتدعيم فكرته: إبراهام لينكولن، الزعيم الفرنسي في الحرب العالمية الأولى كليمانصو، الإسرائيلي ديفيد بن جوريون، وطبعاً تشرشل. وبدلاً من ترك الحرب للجنرالات، تشبث بها السياسيون جميعاً.

وكما فعل زعماء حرب فيتنام، هناك رغبة في مقاومة التحفظ الذي عبّر عنه عدد متزايد من العسكريين في أميركا تجاه حرب العراق. وهو تحذير شارك فيه شخصيات مؤثرة من الحزب الجمهوري نفسه. وربما يكون ذلك جزءاً من الهجوم المضاد للرجال الذين تجمعوا حول وزير الخارجية كولن باول.

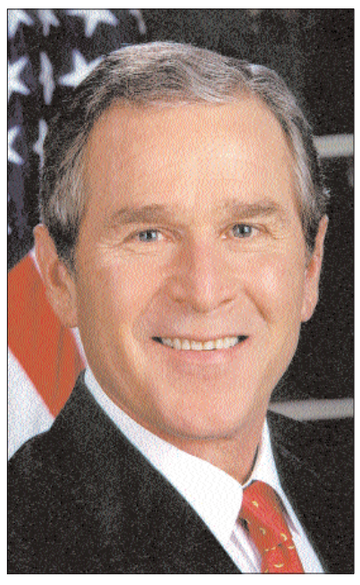

جورج بوش

تشرشل

أنا لم أقرأ الكتاب المذكور ولكن حتى لو ثبت ذلك فإنني اشك في فائدة استخدام ذلك التاريخ هنا.

فهتلر تحدى العسكريين في العام 1938 في تشيكوسلوفاكيا عندما تنبأوا بان الحرب ستنتهي بانتصار انجليزي – فرنسي. وتلقّن الدرس من هذه التجربة حيث رفض التقهقر من ستالينجراد في العام 1942، وخسر الحرب العالمية الثانية. وهناك حقيقة تقول عندما تبدأ المعركة، دائماً لا تعرف متى ستنتهي الحرب وفي أي جزء.

وما يشجع الصقور أيضاً بالطبع هو التاريخ الحديث جداً. فقد تعزّزت حججهم – على الأقل في أذهانهم – بالأخطاء المطلقة للمعارضة. فقبل التدخل في أفغانستان كانت هناك تنبؤات بوقوع كارثة إنسانية تشمل ملايين من البشر وتشعل الارهاب أكثر بما يجعل حوادث 11 سبتمبر/ أيلول وكأنها حادث ناقلة جوية.

وعندما ذهب جيمز نوجاتاي إلى باكستان لمصلحة الـ «بي. بي. سي» استمع إلى تحذيرات جنرال متقاعد من أن مشرّف سيسقط إذا حدث هجوم على العراق. ولكني أتذكّر أن هذا الرجل قد تنبأ – قبل عشرة أشهر – بسقوط مشرّف إذا وقع تدخل في أفغانستان.

وهناك استياء من جانب كثير من الناس الذين يقفون ضد الحرب يجعلهم يصطفون إلى جانب رجال من نوع صدام. فقد استمعت إلى فتاة تتحدث في برنامج تلفزيوني بابتهاج وبراءة عن الرئيس العراقي حيث جعلته نزيهاً لا عيب فيه.

هؤلاء لا يريدون فرض منطقة حظر الطيران، ولا عملاً عسكرياً، ومازالوا يرفضون حماية الأكراد في الشمال وقرارات الأمم المتحدة وأي محاولة لاحتواء نظام صدام. أرسل لي أحدهم بريداً الكترونياً يسألني بازدراء عمّا إذا سأشارك في المظاهرة المقبلة ضد الحرب.

وجوابي: عندما يقبل صدام مرة أخرى بمفتشي الأسلحة من دون شروط، عندها سأشارك. لماذا لا تتظاهر الحركة ضد الحرب من أجل ذلك؟ ولكن أي حرب؟ اعرض علي الدليل أولاً. لا تقل لي فقط ان لديك دليلاً، أخبرني ما هو؟ اقنعني ان عواقب عدم الحرب ترجح على عواقب العمل العسكري. انشر الملفات على الناس، فإذا علمت بأن سيكون هناك قتل أطفال أبرياء، فيجب أن أعرف أن البديل عن ذلك أسوأ.

هذا بالطبع ليس النهج الذي يتبعه الصقور. وبدلاً عن ذلك يسعى الصقور إلى التنمر على المشكّكين والمتحفظّين لجرّهم إلى الحرب. وبقيامهم بهذا فقد بدأوا بالإجابة على ما الدليل؟ أو ما هي العواقب؟ وذلك أمر مأسوي.

إذا كان الناس في الخارج لا يحبون ما تخطّط له الإدارة الأميركية، فذلك يدفعك إلى التساؤل. فهناك شخص مثل عضو مجلس السياسة الدفاعية في البنتاغون كينيث ايدلمان، يطرح فكرة إعادة تنظيم العالم على خمس مراحل.

المرحلة الأولى: حرب سريعة. المرحلة الثانية: نظام ديمقراطي في العراق. الثالثة: ثورة جماهيرية في إيران. الرابعة: تغيير جوهري في المملكة العربية السعودية ومصر. والخامسة: اتفاق سلام في الشرق الأوسط.

فهو بمثابة من يختار هنري الخامس للقيادة والأخلاق، «وتاجر البندقية» لمخاطر الإدارة والتنوع، ولإدارة الأزمات اختار «هاملت»!

أبو نضال أتباعه يضعون الأسطورة

جون بلوش

□ لسنوات طويلة كان أبو نضال أحد أكثر الارهابيين المرعبين، ويمثل انتصاراً عسكرياً لقدرة الشرق الاوسط على صنع الخرافات. معلم المدرسة السابق المدمن على التدخين ظل عدو أميركا الأول حتى حل محله أسامة بن لادن.

ولد أبو نضال في العام 1937 في مدينة يافا في ما كان يسمى فلسطين حينها، وهي الآن جزء من «إسرائيل»، وتلقى تعليمه بالطريقة التي يتلقى بها تعليمه أي فرد ينتمي إلى أسرة فلسطينية متوسطة الحال. ثم انتقل مع والديه إلى نابلس بالضفة الغربية وذلك بعد إعلان قيام «إسرائيل» في العام 1948. وكالكثير من الشباب وجد أبو نضال نفسه مشدوداً للنضال ضد العدو الغاصب. وقد انضم إلى أول مجموعة مقاومة في المدينة التي عاش فيها، واستخدم حينها اسمه الحقيقي «صبري البنا»، ثم انتقل إلى منظمة فتح عندما أصبحت حركة المقاومة الفلسطينية الرئيسة وذلك في نهاية الستينات.

وبسرعة أظهر صبري البنا نفسه على أنه شخص مختلف عن الشباب الاعتياديين المتباهين بأنفسهم ذوي الاصوات الصاخبة الذين قاتلوا ببسالة لكنهم لم يفعلوا شيئاً آخر. كان دائماً مستعداً لتحمل المخاطر وللقيام بالهجمات غير المنظمة التي كانت هي العمل الوحيد المتاح حينها لحركات المقاومة.

لم يقم أبو نضال بما فيه الكفاية ليقلق الإسرائيليين أو يلفت أنظارهم، ولكن الفلسطينيين لاحظوا تهوره وقدرته على جذب الآخرين. وفي السبعينات عندما أصبح عرفات قائداً بلا منازع وفي الوقت الذي كانت فيه فتح تعتبر أكثر من حركة تهييج ليس فقط للإسرائيليين بل للدول العربية أيضاً، عندها أيضاً كان أبو نضال رجلاً يحسب له حساب، لدرجة أن ياسر عرفات رآه كمنافس محتمل له، وفعل ما بوسعه للتقليل من شأنه. وشكّل أبو نضال مجموعته الصغيرة من الأتباع في مجلس فتح الثوري وصرح بأنه ورجاله سيقومون ببعض الأعمال، بينما لم يفعل عرفات وباقي قادة فتح الآخرين سوى الكلام. حينها ظهرت عبقريته الحقيقية. بالتأكيد لم يفعل أكثر مما فعله عرفات ومعظم قادة المقاومة الاستسلاميين – بل ربما فعل أقل مما فعلوه. ولكن عندما يحدث أي شيء في أي مكان فإن الحديث الذي يدور هنا وهناك هو أن «أبو نضال» هو المسئول وإن لم يكن هو مباشرة فسيكون رجاله بالتأكيد هم المسئولين. كانت الحملة دقيقة فأعطته أكثر مما يمكن أن يعطيه ألف مجند.

بالطبع قام أبو نضال بعدد من العمليات الإرهابية منها عملية إطلاق النار في روما وفيينا في العام 1985. ولكن ربما يكون أمراً اعتيادياً بالنسبة لهذا الرجل ألا ينسب له حادث إطلاق النار الذي كان له التأثير الاكبر، وهو محاولة اغتيال السفير «الإسرائيلي» شلومو آرجوف في لندن في العام 1982. عرف «الإسرائيليون» من حاول القيام بعملية الاغتيال ولكنهم اختاروا أن يلقوا باللوم على منظمة عرفات، وأن يستخدموا ذلك كذريعة لاحتلال لبنان، وذلك ما سبب تشريد الفلسطينيين مرة أخرى، اذ المرة الأولى كانت عندما أجبرهم الملك حسين على مغادرة الأردن.

وطورد أبو نضال بشكل قاس وناجح من قبل غريمه الفلسطيني أكثر من أية وكالة غربية. والنتيجة عجزه عن البقاء لفترة طويلة في بلد واحد. كما لم يكن قادراً على النوم في سرير واحد لأكثر من ليلة واحدة، وهذا ما أضاف إلى الهالة المحيطة به.

ولكن «أبو نضال» مثل جميع الناس يجب أن يعيش، ولكي يعيش يجب أن يأكل وأن يشتري الأسلحة. وهكذا انتقل من كونه عدواً لإسرائيل أولاً ولأميركا ثانياً ليصبح مسدساً للإيجار مستعداً للقيام بأي عمل يطلب منه، غير مكترث بمن يدفع الثمن. وطرد من سورية، وعلى رغم بقائه طويلاً في ليبيا إلا أنه بعدها نفي بهدوء من هناك أيضاً. وفي سنواته الاخيرة الهادئة بدا في أمان في العراق، ولكنه ربما لاحظ أنه قد يُنفى أيضاً. وربما أصبح من ذلك النوع من الشخصيات التي يكثر الحديث عنها مما دعا صدام حسين لاستخدامه في محاولة أخيرة لإرضاء الأميركان.

لم يكن «أبو نضال» زعيماً إلا لبضع مئات من الرجال، ولكنه ألحق أضراراً كبيرة – جسدياً ومعنوياً – بالمقاتلين الفلسطينيين، وكان الناس يؤمنون بهم ويثنون عليهم حتى اندلاع الانتفاضة الحالية التي اظهرت ما يمكن فعله فحتى ذلك الوقت، كانت سمعته هي التي ألهمت الشباب للقيام بأعمالهم.

كان رجل عصره. قاد تمرداً صغيراً ضد ياسر عرفات والقيادة الفلسطينية ثم أعاد تشكيل ذلك عن طريق القيام بحملة دعائية إلى شبكة مرعبة حتى وإن كان معظم ما قام به من وحي الأساطير وليس تاريخاً.

المقالات المنشورة بالاتفاق مع صحيفة «الاندبندنت» البريطانية